

التكرار في الخطاب الصوفي

قراءة صوتية

عادل نذير بيري

خيرالدين علي الهادي سليمان

جامعة وارث الانبياء/ كلية العلوم الإسلامية

جامعة الحمدانية/ كلية التربية

قسم اللغة العربية

(قدم للنشر في 2020/5/11 وقبل للنشر في 2020/8/22)

ملخص البحث:

مثل الفكر الصوفي حيزاً كبيراً لا يستهان به من المنظومة الفكرية الإسلامية، وتميّزت بنكهتها الخاصة، ومتعة جمالها، ولغتها، وطريقة تنظيمها، في تشكيل تجربة عرفانية فريدة، قائمة على القصيدة في أقوالها وأفعالها؛ بل وسائر حركاتها، فاللغة الصوفية شكّلت نصّاً ثرياً على المستويات اللغوية المتعددة، وتميّزت ببعدها الدلالي مما أسهم بشكل كبير في إثراء الأدب العربي سيما بتلك الإحياءات الرئانة التي شغلت الدارسين والباحثين لعقود من الزمن ليتوجهوا بالبحث فيه مستعينين بمختلف الوسائل والاجراءات التي قد تمكنهم من هضمها والسبر في أغوارها التي كانت وما زالت عاصية على الكثيرين من خارج دائرة التصوف، وشكلت الصفة عند الصوفية وسيلة كبيرة في توجيه الدلالات المختلفة.

وكان التكرار واحد من أفضل وسائل الصوفية للوصول إلى غاياتهم الفنية والفكرية، فسمت بذلك مشاعرهم المرهفة التي لطالما تغنت بها الصوفية، والأبعاد الإيقاعية في صفة التكرار وإن لم تكن هي الغاية عند الصوفية إلا أنها زادت في تجاذب المريدين إلى شيوخ الصوفية وتفاعلهم الكبير مع النص الصوفي شعراً كان أو نثراً؛ بل لربما أثارت نصوصهم مشاعر الكثير من المتلقين وعلى اختلاف مستوياتهم وقدراتهم التي تباينت بين سطحية الفهم وعمقه، ولذلك نرى أن التداول في النص الصوفي أدى إلى إبراز منجزاتهم الفنية بصورة قد لا تتناسب مع عطائهم الكبير.

ويعتمد البحث في مباحثه توظيف صفة التكرار عند الصوفية وقد سبر عن مقدمة وتمهيد بثلاثة مطالب، ومبحثين، ومن ثم خاتمة، أما المبحث الأول فقد تناول: (أثر تكرار الحروف عند الصوفية)، وأما المبحث الثاني فقد تناول: (أثر تكرار الكلمات والجمل عند الصوفية)، وقد أفاد البحث من مجموعة من المصادر الصوفية المهمة ككتاب الفتوحات المكية لابن عربي، والمعجم الصوفي لسعاد الحكيم.

Repetition in Al-Sofi Discourse Sound Reading

millimeter. Khair Al-Din Ali Al-Hadi Suleiman
Al-Hamdaniya University
College of Education
the department of Arabic language

NS. Dr.. Adel Nazir Berry
University of Warith Al-Anbiya
College of Islamic Sciences

Abstract:

The sofi thought represent a wide space in the islamic thought .it is characterized by its beauty, language and its organization where it forms a unique knowledge experience. it is based on the poem in its sayings and actions and even on its movements. the sofi language formed anich prose text and is characterized by its semantic implications. this feature contributes to a large extent in coloring Arabic literature which become the subject of interest for Heace ,they began to investigate Arabic literature implementing various means and procedures which enable them to go into the depth of Arabic literature which is still far from many scholars outside Al-Sofi-school.

التمهيد: قراءة في مداليل العنوان

1-الصفة عند الصوفية: حاولت الصوفية التعامل مع الصفات سيما الإلهية بالرؤية التي أرادها الله تعالى، فتجنبوا إطلاق صيغة (صفة أو موصوف بحق أو وصف نفسه) على الله تعالى، انسجاماً مع الرؤية القرآنية، لأنه لم يرد في الذكر الحكيم ما يشير إلى أنه سبحانه وتعالى ذكر نفسه بهذه المصطلحات؛ بل الثابت أن الله تعالى نزه نفسه عن وصفهم وعن الأوصاف، إذ قال تعالى: ((...سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ⁽¹⁾))، لذلك نجد الصوفية قد جنحوا عن استعمال هذه اللفظة، واستعملوا ألفاظ أخرى كالنسبة والاسم بدلاً عن الصفة، يقول ابن عربي: ((فما من اسم إلا وله معنى ليس للآخر، وذلك المعنى منسوب إلى ذات الحق وهو المسمى : صفة عند أهل الكلام... والمسمى نسبة عند المحققين... والأولى أن تكون اسماً ولا بد، لان الشرع الإلهي ما ورد في حق الحق بالصفات ولا بالنسب وإنما ورد بالأسماء⁽²⁾))، وبشكل عام فإن الصفات هي العلامات المميزة التي تميز الأشياء وتعرفها إلى الوجود، ولذلك نجد أن الصوفية اهتمت بالبحث عن الصفة بشكل يناسب هذا المفهوم، فهذا ابن عربي الصوفي يعرف الصفة ويقف عندها بكثير من التأمل، إذ ذكر أنها حقيقة عقلية، معدومة العين، موجودة الحكم، كلية لا تقبل التجزئة⁽³⁾، وتناول ابن عربي لفظ الصفة بدلاً عن لفظ الحقيقة في نص آخر، إذ يقول: ((فجعل الله الصفة العزرائيلية مغناطيساً، عند مشاهدتها بنوع اختصاص يتجلى به تفارق الأرواح أشباحها، وتصعد إلى عالمها... وجعل الصفة الروحانية الجبرائيلية العلمية مواصلة للنفوس الإنسانية مؤثرة فيها وحيّاً وكشفاً وإلهاماً...⁽⁴⁾))، وثبت عند الصوفية أن كل اسم يعطي الاشتقاق ويدل على معنى يقوم بالمسمى فهو وصف في الحقيقة وهذا ما عبروا عنه بالصفة⁽⁵⁾، ومن جانب آخر فقد عرّف

(1) الانعام 100.

(2) الفتوحات المكية 294/4.

(3) ينظر: المعجم الصوفي، سعاد الحكيم 1214.

(4) بلغة الخواص ق 105 ب.

(5) الأزل 13-14.

بعض الصوفية الصفة بقوله: ((الصفة: ما طلب المعنى كالعالم))⁽⁶⁾, وقال ابن عربي في الصفة أيضاً: ((الصفة : ما طلب المعنى الوجودي كالعالم والعلم))⁽⁷⁾, وبهذا فإن الصفة عندهم ينبغي أن تعطي معنى في الموصوف, لا أن تعطي ماهية الموصوف, ولا يمكن تدارك ماهية الموصوف بمعرفة بعض صفاته, والصفات الإلهية هي المؤثرة في الكون عندهم؛ بل إن الكون مظهر لتجلي فيها الصفات الإلهية.

ولا يخفى اهتمام الصوفية بالصفات, وتوجيهها بحسب رؤيتهم الخاصة, فقد أفادوا من مختلف الصفات التامة وصفات الجلال والجمال والصفات النفسية والمعنوية⁽⁸⁾, وتجلت دلالات الصفات عندهم وعظمت, وكانت صفة التكرار واحدة من الصفات التي عمدوا إليها لتحريك الإيقاع الداخلي في أبياتهم الشعرية للإفصاح والكشف عن نفسية الصوفي المتأزمة نتيجة شوقه الكبير لوصول معشوقه وهو الله تعالى, وللوقوف على أهم آثار التكرار باعتباره صفة معتبرة عند الصوفية سواء في الحروف أو في غيرها من الكلمات والجمل, نحاول استعراض بعض المواضع سيما في الأبيات الشعرية, ونحاول أن نستفهم من الصوفي إفادته وعلّة استعماله لهذه الصفة وذلك من خلال التعرض إلى التكرار بشكل عام .

2-التكرار : تحدث علماء اللغة في أبحاثهم ومعاجمهم عن التكرار وتناولوه بدلالات متعددة ومن أبرز ذلك ما ذكره الخليل (170هـ) رحمه الله تعالى في معجمه, إذ قال: ((والكُرُّ: الرجوع عليه، ومنه التَّكرار))⁽⁹⁾, ولم يذهب بعيداً عن هذا المعنى العسكري (395هـ) في الفروق اللغوية, إذ قال: ((إن التَّكرار يقع على إِعَادَةِ الشَّيْءِ مرّةً وَعَلَى إِعَادَتِهِ مرَّاتٍ))⁽¹⁰⁾, وأحسن الزبيدي (1205هـ) حينما جمع للتكرار معاني ودلالات متعددة فذكر أن منها: ((كَرَّرَ الشَّيْءَ أَي كَرَّرَهُ فِعْلاً كَانَ أَوْ قَوْلًا، وَتَفْسِيرُهُ فِي كَتَبِ الْمَعَانِي بِذِكْرِ الشَّيْءِ مرّةً بَعْدَ أُخْرَى))⁽¹¹⁾.

(6) الاصطلاحات 297.

(7) الفتوحات المكية 129/2.

(8) ينظر : الفتوحات المكية 218/1.

(9) معجم العين باب الكاف والراء 278/5.

(10) الفروق اللغوية لابي هلال العسكري 39/1.

(11) تاج العروس للزبيدي 27/14.

ويتضح مما سبق أن التكرار يقع في الغالب قصدًا من المتكلم أو الفاعل ولأغراض موضوعية، وبذلك لا يمكن إهمال أو تغافل صدوره من الفاعل؛ بل يستلزم دراسة حاجته إلى التكرار وبيان علة استعانت به، وعلى هذا نجد أن التكرار صدر عن علماء وباحثين مختلفين كعلماء التجويد واللغة والبلاغة ومتكلمي الصوفية وتباينت مواقفهم ورؤيتهم تجاهه وهذا ما نجده جلياً في دراسة التكرار اصطلاحاً وعلى النحو الآتي:

أولاً: التكرار عند علماء التجويد: التكرير صفة عند علماء التجويد، وهي من الصفات التي لا ضد لها، وتختص بحرف الراء⁽¹²⁾، إذ قال عنها عبد الفتاح الشافعي: ((ارتعاد طرف اللسان عند النطق بالحرف. وله حرف واحد وهو الراء وسمي بذلك لارتعاد طرف اللسان عند النطق به. ومعنى وصف الراء بالتكرير أنها قابلة له وليس المراد منه الإتيان به كما هو ظاهر وإنما المراد به التحرص منه واجتنابه وخاصة إذا كانت الراء مشددة فالواجب على القارئ حينئذ إخفاء هذا التكرير لأنه متى أظهره فقد جعل من الراء المشددة راءات ومن المخففة راءين والتكرير في المشددة أحوج إلى الإخفاء من التكرير في المخففة))⁽¹³⁾

ثانياً: التكرار عند علماء اللغة: عمد علماء اللغة عموماً والنحو والصرف بشكل أخص إلى تكرار الحروف والكلمات والجمل ولأغراض متعددة ومنها للزيادة بشكل عام أو زيادة النفي⁽¹⁴⁾، وقد يكون لإبطال العمل⁽¹⁵⁾، ويرد للتنبيه أيضاً⁽¹⁶⁾، وقد يرد للتكثير⁽¹⁷⁾، وللتوكيد⁽¹⁸⁾، أو لأمن اللبس⁽¹⁹⁾، وللعوض⁽²⁰⁾، وهناك مقاصد أخرى للتكرار وهي متعددة يمكن للباحث الاستزادة منها وهي متناثرة في كتب اللغة بشكل عام.

-
- (12) ينظر: تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين 37/1. وفتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد 44/1.
- (13) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري 79/1.
- (14) ينظر: شرح التسهيل لابن مالك 65/2.
- (15) ينظر: المصدر نفسه 64/2.
- (16) ينظر: التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين 443/1.
- (17) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب 167/1.
- (18) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب 311/4، و همع الهوامع في شرح جمع الجوامع 297/2.
- (19) ينظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك 52/3.
- (20) ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك 117/3.

ثالثا: التكرار عند علماء البلاغة والأدب: مثل التنغيم الإيقاعي ظاهرة مهمة في الدراسات عامة والأدبية بشكل خاص، لذلك نجد أن البلاغيين وأهل الأدب (الشعر والنثر) يقصدون التكرار لأنه يولد إيقاعاً داخلياً يستأنسون به، ويزيدهم بعداً فنياً ولوناً يناسب ذائقتهم النفسية والاجتماعية، إذ يقول الباحث محمد حسن شرشر: ((التكرار: يحدث نوعاً خاصاً من الإيقاع، تستلزمه العبارة لأغراض فنية ونفسية واجتماعية))⁽²¹⁾، وعلى هذا فإن التكرار يمثل جانباً مهماً في العمل البلاغي والفني عند علماء العربية تواطؤاً عليه، وجعلوا له أثراً واضحاً في نتاجاتهم.

رابعا: التكرار عند الصوفية: مثلت ظاهرة التكرار عند الصوفية واحدة من الوسائل التعبيرية للإفصاح عن نفسية الصوفي المتأزمة نتيجة المحبة والشوق لوصال الحبيب، وغلب ذلك على أبياتهم الشعرية التي شغلت مكانة كبيرة عند علماء وشعراء الصوفية، وجاء التكرار في أشعار الصوفية بصور وهيئات متعددة، فتارة يكون على مستوى الحروف وأخرى على مستوى الكلمات والجمل ليكشف الحالة النفسية للصوفي⁽²²⁾، وعلى هذا فإن التكرار يمثل متنفساً للصوفي، يقصده لعلة سامية وهو يناجي محبوبه، ويؤكد حبل الوصال بين العاشق ومعشوقه.

3- مفهوم الصوفية: الصوفية جماعة إسلامية اتسمت طباعها بالتصوف، وقيل إن تسميتهم بهذا الاسم نسبة إلى الصوف؛ لأن المتقدمين من السلف كان لباسهم الصوف كما الانبياء والصالحون، فيظهر عليهم التخشن والتقشف والتذلل⁽²³⁾، وقيل أيضاً: إن التصوف نسبة إلى رجل اسمه (صوفة) وكان عابداً زاهداً⁽²⁴⁾، وقيل: إن الصوفية نسبة إلى (الصفة) وهم جماعة من الفقهاء الذين كانوا يقيمون في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان صلى الله عليه وآله يحبهم ويعطف عليهم⁽²⁵⁾، وذهب آخرون إلى أن الصوفية نسبة إلى الصفاء الروحي والطهارة الظاهرية والباطنية⁽²⁶⁾، والرأي الأول قد يكون الأقرب لمعنى التصوف، والتصوف عموماً قائم على مبادئ الايثار والتضحية، وبذلك فإن المتصوف مستعد للتضحية بكل ملذات الدنيا ومتاعها، والايثار بما

(21) البناء الصوتي في البيان القرآني، 88.

(22) ينظر: التكرير بين المثير والتأثير 86.

(23) ينظر: التصوف النشأة والمصادر، احسان إلهي ظهير 22.

(24) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام 55/1.

(25) ينظر: التصوف ما له وما عليه، ياسين رشيدى 12.

(26) ينظر: التصوف الاسلامي في الأدب والاخلاق، زكي مبارك 48.

هو باق على ما هو فان، أي أن الصوفي يضحي بالعاجل الدنيوي في قبال ما يمكن أن يكون مؤجل آخروي ويتم ذلك بمجاهدة النفس ومغالبة الهوى⁽²⁷⁾، ويمثل التصوف ثمرة عظيمة من ثمار الفكر الاسلامي، وقد اجتمع فيه حقائق الإسلام من عبادة وإيمان ويقين وعرفان، واتسمت بدايات التصوف ببعض الظواهر بين الإنسان وربّه ثم انتقلت إلى ظاهرة اجتماعية لها رجالها وأتباعها⁽²⁸⁾.

وتعددت التعريفات الخاصة بالتصوف، وهي تدور في الغالب حول محور واحد وإن اختلفت ألفاظها، فقد عرّفها معروف الكرخي (200هـ)، إذ قال: ((التصوف هو الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق))⁽²⁹⁾، ويفهم من كلامه أن الصوفي له معرفة بحقائق الأمور، فهو لا ينظر إلى ظواهر الأشياء كعامّة الخلق، ومن جانب آخر فإن الصوفي على درجة كبيرة من الزهد، فهو يتخلى عما يتصارع عليه الناس رغبة في رضا الله تعالى، وذكر بشر الحافي (227هـ) أن الصوفي: ((من صفا قلبه لله))⁽³⁰⁾، وزاد على ذلك أبا تراب النخشي (245هـ)، إذ قال: ((الصوفي لا يكدره شيء ويصفو به كل شيء))⁽³¹⁾، ويرى سهل بن عبد الله التستري (283هـ): أن التصوف هو ((قلة الطعام والسكون إلى الله والفرار من الناس))⁽³²⁾

وأما أحمد الجريري (304هـ) فهو يرى أن التصوف يكون بمراقبة الأحوال ووجوب التزام الأدب⁽³³⁾، بينما نجد أن أبا بكر الشبلي (334هـ) يقول: ((التصوف هو ضبط للحواس ومراعاة للأفاس))⁽³⁴⁾، ويستفاد مما سبق أن الصوفية على درجة كبيرة من مراقبة النفس، وأداء الأعمال على أكمل وجه بما يرضي الله تعالى، وينطبق ذلك على مبدأ الإحسان كما ورد عندنا في الأثر

(27) ينظر: الأدب في التراث الصوفي، عبد المنعم خفاجي 33.

(28) ينظر: الأدب في التراث الصوفي 33.

(29) تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية، أمين يوسف عودة، 12.

(30) التعرف لمذهب أهل التصوف 21/1.

(31) سير أعلام النبلاء 9/425.

(32) ينظر: التصوف الاسلامي، فيصل بدير 19-20.

(33) ينظر: تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية 13.

(34) المصدر نفسه 13.

النبي الشريف: ((إن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك))⁽³⁵⁾، وممن تحدث عن التصوف أيضًا الأمير عبد القادر الجزائري الذي قال: ((التصوف جهاد النفس في سبيل الله، أي لأجل معرفة الله، وإدخال النفس تحت الأوامر الإلهية والاطمئنان والإذعان لأحكام الربوبية لا شيء آخر في سبيل الله))⁽³⁶⁾، وعلى هذا فإن التصوف يكون بجهاد النفس عن طريق العبادة الخالصة لله تعالى، والصوفي يغلب عليه الشعر بوصفه وسيلة للبوح بما يكنه في خلجاته، لذلك نجد أن الصوفي لا يخلو من كونه شاعرًا؛ بل هو شاعر سواء نظم القول أو نثر، لأن أدواته عينها أدوات الشاعر⁽³⁷⁾، فكلاهما يعتمدان على الباطن، مما جعل لغتهما مختلفة عن لغة غيرهما.

ومن الوجوه الصوفية التي تميزت الشيخ الأكبر ابن عربي، والقشيري، ورابعة العدوية، والحلاج، وابن فارض وغيرهم، واشتهر عليهم صناعة الشعر واستعماله في تجربتهم الصوفية، فالشعر لغة الخواص، ولغة المجاز والرمز، لا لغة التصريح والوضوح⁽³⁸⁾، ويمكن القول: إن ما يعانيه الشاعر خلال عملية تجسيد الشعر يشبه ما يقوم به الصوفي في مناجاته وأحواله.

(35) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه (ط - القديمة)، 104/2.

(36) الأمير عبد القادر الجزائري متصوفاً وشاعراً، فؤاد صالح السيد 115.

(37) ينظر: الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، إبراهيم محمد كمصور 24.

(38) ينظر: الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، سعيد بوسقطة 137.

المبحث الأول: أثر تكرار الحروف عند الصوفية:

يلعب تكرار الحروف دورًا عظيمًا في الموسيقى اللفظية، يمكن أن نستشعر منه الترابط الوثيق بين اللفظ المكرر والمعنى المقصود⁽³⁹⁾، إذ إنّ لأصوات الحروف المكررة مجريان ينبع أحدهما من رويّ القافية ويصب فيه، فنجد هيمنة واضحة لها على سائر التشكيل، ويكون أساسًا لبنائه الصوتي، وأما الآخر فيكون من قاع البحر أو من قراره، فنلاحظ على ذلك هيمنة حرف قوي ذو صوت حلقي مجهور كالعين، أو حرف ذو صوت حلقي مهموس كالحاء، أو صوت رنان كالنون، أو صوت عالي الصفير وحاد الجرس كالسين والصاد على التشكيل ويصطبغ بصبغته فتصبح خصوصية الصوت أساسًا لبنائه⁽⁴⁰⁾، ومن جانب آخر لا يخفى أن لتكرير الحرف في الكلمة مزايا أيضًا، منها سمعية ومنها فكرية، الأولى ترجع إلى موسيقاها، والثانية إلى معناها، وأشار الجاحظ إلى ذلك بقوله: ((الصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلامًا إلا بالتقطيع والتأليف))⁽⁴¹⁾، ودارسوا هذه اللغة أيقنوا هذه الميزات السخية للغة العربية والتي زادت هذه اللغة جمالًا ورونقًا، وينشأ عن تكرار الحرف غالبًا الكثير من الحسن والانسجام الصوتي في الكلمات حينما تكون الأبعاد مناسبة لسلامة الجرس وصحة الإيقاع، وقد ارتبط صوت اللفظ بمعناه

(39) ينظر: أبو فراس الحمداني الموقف والتشكيل الجمالي 501.

(40) ينظر: المصدر نفسه 502.

(41) البيان والتبيين 77/3.

ويكادان يرتبطان برباط وثيق في اللغة العربية، يتناسب مع مخارج الحروف وصفاتها النطقية⁽⁴²⁾، واجتهدت الصوفية في الكشف عن الكثير من آثار هذه الأصوات وجعلوا لتكرارها أهدافاً تناسب ذوقهم العميق وفلسفتهم الفريدة، وجعلوا للصوت جزءاً للدلالة على المعنى، فما رق ولان جعلوها لما رق ولان من المدلولات، وما خشن منها جعلوها لما خشن وصلب من المعاني، وأصوات الحروف عندهم وصفاتها تتقلب مكانياً فتعطي معنى عاماً واحداً، ثم يختص هذا العموم بميزة ليس لسواه، وظاهرة ارتباط اللفظ الذي وقع التكرار في حروفه بالمعنى، ظاهرة عامة عند علماء العربية كالخليل وسيبويه، وتميز عند ابن جني⁽⁴³⁾، وهذا ما أكده المحدثون أيضاً، فقد ذهب الدكتور علي عبد الواحد في كتابه (فقه اللغة) إلى حتمية العلاقة الطبيعية والوضعية بين اللفظ المكرر وبين معناه⁽⁴⁴⁾، ويمكن أن نلمس مثلاً خشونة المعنى وصلابته في قول علقمة بن عبدة⁽⁴⁵⁾، الذي قال:

تَخْشَشُ أَبْدَانُ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ ... كَمَا خَشَّشَتْ يَبَسَ الْحَصَادِ جُنُوبُ

حيث يظهر تأثير خشونة الصوت وتكراره، ونكاد نلمس في الخيال الصورة المعبرة لهذه الالفاظ الصلبة ونتصورها من خلال هذه الأصوات التي تكررت في هذا البيت الشعري، بينما يمكن أن نلمس الهمس الرقيق من الجرس المتتابع الايقاع من خلال تكرار بعض الحروف الأخرى كتكرار حرف السين في قوله تعالى: (مَنْ شَرَّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُورِ النَّاسِ)⁽⁴⁶⁾، إذ إن إدراكنا الحسي يتناغم مع سلاسة الصوت اللين الذي يصدره حرف السين المتكرر في هذه الآيات المباركة⁽⁴⁷⁾، أما عنده الصوفية فقد تجلت ظاهرة التكرار في أشعارهم لتكشف الحالة النفسية للصوفي، فمثلاً نجد ذلك واضحاً في أبيات ابن الخيمي⁽⁴⁸⁾، الذي يقول:

(42) ينظر: التكرير بين المثير والتأثير 66.

(43) ينظر: الخصائص 441.

(44) ينظر: فقه اللغة 169-170.

(45) إسفار الفصيح 744/2، وفتح المتعال على القصيدة المسماة بلامية الأفعال 190/1.

(46) الناس 4-5.

(47) ينظر: التكرير بين المثير والتأثير 75.

(48) ديوان ابن الخيمي 68.

إِذَا شِئْتَ بَرَدَ الْقَلْبِ مِنْ طَيْبٍ ذَكَرِهِ وَجُدْتَ، وَإِمَّا شِئْتَ شَوْقًا نَوَّحًا

مَتَى قَرَّ قَلْبِي دُونَ بَيْضِ قَبَائِهِ فَلَا قَرَّ قَلْبِي أَوْ هَدَى الْوَجْدُ لَا هَدَى

ففي هذين البيتين نجد أن الصوفي ابن الخيمي كرر صوت (القاف) سبع مرات، على الرغم من ثقله، فكما هو معلوم فإن صوت القاف من الأصوات الثقيلة على اللسان⁽⁴⁹⁾، إلا أن الشاعر الصوفي وظفه ليفصح عن حالته النفسية المتأزمة الناجم عن شوقه الكبير إلى معشوقه، فجاء منسجماً ومعبراً عن حجم المعاناة في مسيرة وصال الحبيب.

ومن جانب آخر نجد أن الصاحب بن عباد يركز على حرف (الحاء) في قصيدته الرثائية⁽⁵⁰⁾ على أهل البيت عليهم السلام، إذ يقول

هُمْ أَكْذُوا أَمَرَ الدَعَا — يَزِيدَ مَلْفُوظَ السَفَا

فَسَطًا عَلَى رُوحِ الْحَسِي — نِ وَأَهْلِهِ جَمَّ الْجَمَاحِ

صَرَعُوهُمْ قَتَلُوهُمْ نَحَرُوهُمْ نَحَرَ الْأَضَا

يَا دَمْعَ حَيٍّ عَلَى انْسِفَاكِ تَمَّ حَيٍّ عَلَى انْسِفَاكِ

فِي أَهْلِ حَيٍّ عَلَى الصَّلَاةِ وَأَهْلٍ حَيٍّ عَلَى الْفَلَاحِ

إذ نجد في هذه الأبيات أن ابن عباد يركز بشكل واضح على روي حرف (الحاء) وهو حرف مهموس، وكرر الحرف بنسب متفاوتة في أبياته، فقد أورده مرة واحدة في البيت الأول، وثلاث مرات في البيت الثاني، وكررها ثلاث مرات في عجز البيت الثالث، وهكذا نجده يكررها ثلاث مرات في البيت الرابع وثلاث مرات في البيت الخامس حتى تميز صوت حرف (الحاء) في قصيدته، ولا يخفى ما أشاعه تكرار حرف (الحاء) من الموسيقى المعبرة والدلالة الواضحة، إذ جسّد مشاعر الألم والحزن العميق لما وقع على آل البيت عليهم السلام، وكأن الشاعر يصوت من أعماق نفسه (آح) كرد فعل لما لحق بهم عليهم السلام من الأذى والظلم والجور، ونجد اقتران حرف (الحاء) مع حرف المَدِّ (الالف) ليدلّ على عمق الألم وشدته⁽⁵¹⁾.

(49) ينظر: موسيقى الشعر 25.

(50) ديوان الصاحب بن عباد 201.

(51) ينظر: القيمة الموسيقية للتكرار في شعر الصّاحب بن عباد، د فرحان علي القضاة.

وهكذا نلاحظ ابن الرومي الذي انطلق من بعده الصوفي وحاول ترجمة الصفات ودلالاتها من الواقع الصوفي إلى الخواص، وذلك من خلال التركيز على مداليل بعض أصوات الحروف وصفاتها، فنجده يركز على حرف (الشين) بجمال نقاطها الثلاثة التي تربعت على عرش الحرف وكأنها قطرات تزين للناظرين ما يختلج في نفس ابن الرومي، إذ يقول⁽⁵²⁾:

لي حبيبٌ حُبُّهُ يَشْوِي الحشَا لو يَشَا يَمْشِي عَلَى عَيْنِي مَشَا

ف نجد هيمنة حرف (الشين) على هذا البيت، ليكون منسجماً مع حال ابن الرومي، فحرف (الشين) يفيد التقشي⁽⁵³⁾، وحب الحبيب كان قد تقشى في قلبه، فجاءت صفة الحرف مناسبة لوضعه وحاله.

وأما ابن سوار الدمشقي فنجده يركز على تكرار حرف (الميم) في واحدة من قصائده المتميزة⁽⁵⁴⁾، إذ يقول:

بِجَزَعِ اللّوى نَارٌ بصدري ضِرامُهَا وحُلَّةٌ غَيْرَانٌ بسري خيامُهَا
وأطلالٌ دارٍ لا تغيبُ رؤومُهَا مواطرٌ من أجفانٍ عيني غمامُهَا
إلى أن يقول:

وكانَ مُباحًا قَرَبُها ووصالُها فأصبحَ مَحْظُورًا عَلَيْنَا سَلامُها
وما مَطْفِئٌ أدماءٌ أنعمَ عَيشُها بذاتِ الغُصَا جثجاثُها وتَمامُها

حيث نجده كرر حرف (الميم) أكثر من مئة مرة في القصيدة التي بلغت عدد أبياتها واحدًا وثلاثين بيتًا، يليه حرف (النون) بنسبة أقل، وهما من أكثر الحروف ارتباطًا بالصوت باعتبار صفاتهما، إذ يقول عز الدين السيد: ((من أكثر الحروف ارتباطًا بالصوت - الميم والنون - حتى نراهما في أكثر المفردات اللغوية على درجة كبيرة من تعديل الصوت وتلطيفه))⁽⁵⁵⁾، فعبر الشاعر من خلالهما عن معاناته وشوقه لوصال المحبوب.

(52) ديوان شمس تبريزي 111/1.

(53) ينظر: إبراز المعاني من حرز الأمان، 753/1.

(54) ديوان ابن سوار الدمشقي 109-112.

(55) التكرير بين المثير والتأثير 15.

وكرر أبا عفيف التلمساني حرف النداء (يا) في قصيدته التي تقرب بها إلى مقام النبي صلى الله عليه وآله، إذ قال⁽⁵⁶⁾:

أَجَلْتُ بِالنَّغْرِ ثَنَائِي الْأَقَاحِ	يا طَرَّةَ اللَّيْلِ وَوَجَةَ الصَّبَاحِ
وَاعْجَمْتُ أَعْيُنَكَ السَّحَرِ مُدْ	أَعْرِبْتُ مِنْهُنَّ الصِّفَاتُ الصَّحَاخِ
فِيَا لَهَا سُودٌ مَرَاضٍ غَدَتْ	تَسْلُ لِلْعِشَاقِ بِيضَ الصَّبَاحِ
يَا لِلْهَوْلِ مِنْ مَسْعِدٍ مُغْرَمٍ	رَأَى حَمَامَ الْأَيْكِ غَنَى فَنَاحِ
يَا بَانَةً مَالَتْ بِأَعْطَافِهِ	قَدْ عَلِمْتَنِي كَيْفَ هَذَا الرَّمَاحِ
وَأَنْتَ يَا أَسْهُمُ الْحَاطِظِ	أُثْنَنْتُ وَاللَّهِ فَوَادِي جِرَاحِ

حيث نجد الشاعر الصوفي يكرر في أبياته حرف النداء (الياء) ليوفر دفقا غنائيا ونبرة متلازمة ومنسجمة مع حال الذي يناجي ويصف محبوبه الذي بعد ويستشعر هذا البعد في مدِّ حرف النداء وعمق حرف (الحاء)، فيتجسد عبق الشوق وألم الوجد ليرسم لوحة براقعة معبرة عن الشعور الذاتي المكنون في قلب الشاعر الصوفي تجاه محبوبه⁽⁵⁷⁾ وهو النبي صلى الله عليه وآله. وأما الشيخ الكبير ابن عربي فقد حاول التركيز على التكرار من جوانب عدة، ففي باب إثبات مذهبه في وحدة الوجود⁽⁵⁸⁾، ركز على تكرار حروف المدِّ لما لها من الأثر في نفس السامع، إذ قال⁽⁵⁹⁾:

لَقَدْ صَارَ قَلْبِي قَابِلًا كُلَّ صُورَةٍ	فَمَرَعَى لِيُغْزِلَانِي وَدِيرٍ لِرَهْبَانٍ
وَبَيْتٍ لِأَوْتَانٍ وَكَغَيْبَةٍ طَائِفٍ	وَأَلْوَاكِ تَوْرَةٍ وَمُصْحَفٍ قُرْآنٍ

ومن المناسب أن نذكر أن الشيخ لجأ إلى حروف المدِّ (الواو الياء الألف) لأن هذه الحروف يهب السامع قيمة صوتية عظيمة، خاصة عندما تسبقها حركات مناسبة لها، فيتمخض لانطلاق الصوت إلى مسافة أكبر⁽⁶⁰⁾، وتتميز بسعة في مخارجها، لتتناسب مع الدلالات الفكرية التي قصدها الشيخ في إظهار مذهبه، المستند إلى هيمنة الله عز وجل، وامتداد ملكه الذي وسع

(56) ديوان ابن عفيف التلمساني 168/1-169.

(57) ينظر: التكرير بين المثير والتأثير 86.

(58) ينظر: فصوص الحكم، ابن عربي 1/195.

(59) المصدر نفسه 289.

(60) ينظر: شرح الملوكي في التصريف 101.

مختلف الأديان، أهل الأديرة، والرهبان، وأصحاب التوراة، وأهل القرآن وطوائف المسلمين؛ بل وحتى عبدة الأوثان، فحروف المد العميقة تؤكد عمق العقيدة عند الشيخ ومذهبه، وسعته قوته. ومن جانب آخر نجد الشيخ يكرر كثيراً حرف (الهاء) في بيان محبوبه الذي يجده في رمز مهم من رموز الصوفية وهي المرأة التي ترمز إلى الجمال المطلق، لتكون بذلك رمزاً للحق المطلق في مسيرة وحدة الوجود عند الصوفية⁽⁶¹⁾، إذ قال:

إِنَّ التِّي كَانَ الْوُجُودُ بِكَوْنِهَا ذَاتٌ يُقَدَّسُ لَفْظُهَا مَعْنَاهَا
إِنِّي لِأَهْوَاهَا وَأَهْوَى قَرَبَهَا مني، وَأَهْوَى كُلِّ مَنْ يَهْوَاهَا

ويتضح من هذه الأبيات الشعرية للشيخ الكبير تركيزه على حرف (الهاء) والمعلوم أن حرف الهاء عند الصوفية تعني الكثير، إذ يقول الشيخ نجم الدين الكبرى: ((الهاء: هو اسم ينتهي إلى حدٍ يتصل بالاسم الاعظم))⁽⁶²⁾، ويقول الشيخ كمال الدين القاشاني: ((الهاء: هو اعتبار الذات بحسب الظهور والحضور والوجود))⁽⁶³⁾، وعلى هذا يتضح أن الشيخ ابن عربي لم يكن تكراره لحرف الهاء إلا تأكيداً لما في هذه الصفة من الدلالات العظيمة التي تشير إلى الذات الإلهية.

وبهذا يتضح بالبحث أن صفة التكرار تلعب دوراً بارزاً في ترتيب الموسيقى الداخلية للنص، وهي موائمة للقطعة، فهي ذات طابع وظيفي مزدوج لأنها توثق المعنى المقصود من جانب، وتعمل على دفع المساهلة في القيمة الصوتية التي تزيد القلب قبولاً له، والوجدان تعلقاً به من جانب آخر، وتركيز الصوفية على صفة التكرار لبعض الحروف، إنما يؤكد اطلاعهم الكبير على آثارها الوجدانية والفنية، لذلك تواطأ علماء الصوفي على تكرار الحروف كما مرّ في الأبيات الشعرية لتصوير غايات نبيلة اتضحت معالمها بالبحث، وجسدت الجانب الموضوعي للصوفي في تكراره المستمر ليعبر عن ما يختلج في نفسه.

(61) ينظر: الفتوحات المكية 33/6.

(62) فوائح الجمال وفوائح الجلال، الشيخ نجم الدين الكبرى 69.

(63) اصطلاحات الصوفية، الشيخ كمال الدين القاشاني 45.

المبحث الثاني: أثر تكرار الكلمات أو الجُمْل عند الصوفية:

تكرار الكلمة أو تكرار جملة معينة في السياق يكون ذا أثر كبير على النص، ليس فقط من الجانب التنظيمي للموسيقى الفنية لأوزان الكلمات والجُمْل وقيمتها السمعية؛ بل لما يؤثر أيضاً على المعاني والدلالات⁽⁶⁴⁾، لذلك نجد أن البلاغيين اهتموا بهذا الجانب ووظفوها في الفنون المختلفة من أقسام البديع كالجناس وغيره.

وركزت الصوفية على تكرار الكلمات والجُمْل كثيراً في كلامهم المنثور والمنظم، لما فيه من القدرة على خلق نمط متميز من الايقاع الداخلي⁽⁶⁵⁾، وكانوا يلجؤون إليه في إحياء مجالسهم

(64) التكرير بين المثير والتأثير 80.

(65) المصدر نفسه 86.

الخاصة بالذكر والانشاد التي يقيمونها، فيقوم المريد⁽⁶⁶⁾ بترديد هذه المقاطع⁽⁶⁷⁾، وشكل هذا النمط ظاهرة فريدة في أشعار الصوفية وموشحاتهم وأراجيزهم.

ويمكننا على ما تقدم أن نميز بين تكرار الكلمات وبين تكرار الجمل في الشعر الصوفي، على اعتبار أن كلاهما واقع في الشعر الصوفي، وإن تشابهت أغراضهما ومقاصدهما في الغالب، إلا أنه لكل منهما رونقه الذي يميزه عن الآخر، ويظهر ذلك بوضوح من خلال عرض هذه الصور من التكرار لكل منهما وعلى النحو الآتي:

1-تكرار الكلمات: نلاحظ في الشعر الصوفي كثيراً من مواضع تكرار الكلمات وفي مختلف الموضوعات، فمثلاً ينقل عن الششتري بعض الموشحات التي ركز فيها على تكرار لفظ الذات الالهية(الله) بشكل واضح، إذ قال⁽⁶⁸⁾:

يَا طَالِباً رَحْمَةً	اللَّهُ سَلِّمْ أُمُورَكَ لِلَّهِ
وَقُلْ بِصِدْقٍ وَجِدْ	الله الله الله
وَلُذْ بِهِ وَتَأَدَّبْ	فَأَنْتَ فِي حَضْرَةِ اللَّهِ
فَقَدْ ظَفَرْتَ بِكَزْزٍ	وَكُلُّ فَضْلٍ مِنَ اللَّهِ
وَأَشْدُدْ يَدَكَ عَلَيْهِ	فَقُطِبْ أَسْمَاءِ اللَّهِ
وَالزَّمْ حُضُوراً بِقَلْبٍ	إِذَا نَطَقْتَ بِاللَّهِ
فَفِيهِ سُكْرٌ خَفِيٌّ	يُذْرِيهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ
وَسَلِّمْ عَلَى الْكَوْنِ	وَارْقُصْ بِقَوْلِكَ اللَّهُ اللَّهُ

فنجد في هذه القصيدة أن الصوفي لجأ إلى تكرار لفظ الجلالة(الله) في جميع أبياته، وهذا التكرار عادة يستثمره الصوفي في مجالس الذكر كثيراً، وكذلك في ألفاظهم وإشاراتهم الرمزية وضمن أجواء روحانية خاصة⁽⁶⁹⁾، ففي هذه الأبيات نلاحظ أثر صفة التكرار في تعزيز مراسيم إحياء

(66) المريد: وجمعها المريدون وهو المتعلم على شيخ الطريقة وفق المنهاج، والمريد رتبة من رتب الصوفية، وللمريد درجات وعليه أن يقرأ أوراداً في اليوم والليلة يكلفها به الشيخ، ينظر: المدارس الصوفية ومذاهبها، عبد الحكيم عبد الغني قاسم 126.

(67) ينظر: ديوان الششتري 103-105.

(68) ديوان أبا الحسن الششتري 351.

(69) ينظر: ديوان البرعي 100/14.

المجالس الخاصة، وتشكيل إيقاع داخلي يتناسب مع الذائقة الصوفية المكنونة، والتي اجتمعت على مستوى الجماعة الصوفية في تكرارها لهذه المقاطع باعتبارها جزءاً من الطقوس العبادية المصرحة بها، ولا يخفى أن الله تعالى يؤثر بشكل ايجابي على الصوفي وينمي الجانب الروحاني الذي ينماز به الفكر الصوفي بشكل خاص، لأنه غايتهم، وقدموا من خلال صفة التكرار الكثير من الصور التي رسموا بها صور وحدة الوجود⁽⁷⁰⁾ المتجسد في أقوالهم وأفكارهم.

ومن باب تكرار الكلمات نرى أن صاحب بن عباد يركز على كلمتين في قصيدته التي وصف فيها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، إذ يقول⁽⁷¹⁾:

أَنْتَ الَّذِي انْحَى عَلَى	الْمَارِقِ كَالْحَنْفِ أَطْلُ
أَنْتَ الَّذِي يُبْرِدُ مَنْ	شَيَعَتُهُ نَارُ الْغُلْ
أَنْتَ الَّذِي نَحَاهُمْ	وَالْحَرْبُ تَرْجَى بِالشَّعْلِ
أَنْتَ الَّذِي سَادَ الْوَرَى	مَنْ غَيْرِ لَيْتَ وَلَعْلَ

إلى أن يقول:

أَنْتَ الَّذِي يُدْعَى بِبَحْ - رِ الْعِلْمِ وَالْقَوْمِ وَشَلْ

ويبدو أن صاحب بن عباد في هذه القصيدة حقق تطريباً عظيماً بتكراره لمطلع الأبيات، فسَّهل على مستمعه بهذا التناغم الموسيقي أن يتلذذ فؤاده ونفسه، فلا يكاد ينتهي البيت إلا وقد تجدد ألحانها في البيت الذي يليه، وهكذا إلى نهاية القصيدة، والتأكيد الحاصل بالتكرار يعزز الصفة المقصودة في نفوس المريدين، ويزيد في وقعه الذي ينمو بتتابع الموجات الصوتية والنغمات الموسيقية، ولعل التكرار عزز في التركيز على الافهام والتأكيد عليه؛ لأنه من مذاهب الصوفية العميقة والمقصودة⁽⁷²⁾، لذلك نجد ابن عربي يعمد إلى تكرار الكلمات في أشعاره ومنثور كلامه، وقد رصد البحث مجموعة من الأمثلة التي تمت فيها الوصف أو الإضافة في كلمات ابن

(70) نظرية من نظريات الصوفية ركز عليها ابن عربي تقوم على أن الحقيقة المحمدية هي أول المخلوقات وأنها مبدأ الخلقة فهي النور الذي خلقه الله قبل كل شيء وخلق منه كل شيء، وانها صورة الانسان الكامل الذي يجمع جميع حقائق الوجود مع كونه مصدر العلم الباطن وقطب الاقطاب... ينظر: فصوص الحكم، ابن عربي، 317-321.

(71) ديوان صاحب بن عباد 70-71.

(72) ينظر: تأويل مشكل القرآن 236.

عربي، وظهر من خلالها تأكيده على كلمات بعينها ولمقاصد مختلفة، ومن ذلك قوله: (ابن الروح ، ابن السبيل، ابن الظلمة، أبناء الرحمة، أبناء المجموع)⁽⁷³⁾، وكذلك قوله: (أدب الحق، أدب الحقيقة، أدب الخلافة، أدب الشريعة، أدب الله، أدب الولاية)⁽⁷⁴⁾، والتركيز واضح على تكرار بعض الالفاظ في كلام ابن عربي، فلغته صوفية، واللغة الصوفية تحترف الممانعة والانفلات من عقل المعنى المؤلف، لتحط في النهاية على ضفاف بحر التأويل، وتكشف عن الحبّ والمسايرة لما يتجلى ويشرق من الحقائق عبر التماهي المتواصل مع الحق⁽⁷⁵⁾، وفي باب التكرار أيضا نقل عن ابن عربي الكثير من الكلام المنظم شعراً ومن ذلك نقل عنه في باب التمييز بين الرب والمربوب قوله⁽⁷⁶⁾:

وَمِثْلُكَ مِنْ تَبَارَكَ أَوْ تَعَالَى	الْهِيَ كَيْفَ يَعْلَمُكُمْ سِوَاكُمْ
وَهَلْ شَيْءٌ سِوَاكُمْ؟ لَا لَا لَا	الْهِيَ كَيْفَ يَعْرِفُكُمْ سِوَاكُمْ
وَكَيْفَ أَرَى الْمُحَالَ أَوْ الضَّلَالَ؟	الْهِيَ لَا أَرَى نَفْسِي سِوَاكُمْ

ففي هذه الابيات التي نُقلت عن ابن عربي نلاحظ أن التكرار واضح في بعض الكلمات ككلمة (الهي) وكلمة (سواكم)، والمنتبج لقصائد ابن عربي يجده غارقاً في بحر الله تعالى، وفي هذه الأبيات ركّز على هذه الكلمات لأنه قصد إلفات النظر إلى الله تعالى وعظمته، وبيان حال المخلوق وحقارته وصغر حجمه، فالتعبير بـ (سوى) ومشتقاتها إشارة إلى غير الله تعالى في اللغة الصوفية⁽⁷⁷⁾، وجاء في كلامه الكثير من الفيوضات التي ركز فيها ابن عربي على الله تعالى وعلى ما هو سواه، فنجد يكرر لفظ الضمير (أنا) ليعبر عن ذاته الخاصة، في إشارة إلى أن الذات الإلهية الحقّة ذات أخرى، إذ يقول⁽⁷⁸⁾:

أَنَا الْجِيلَانِي مَحْيِ الدِّينِ اسْمِي	وَأَعْلَامِي عَلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ
أَنَا الْحَسَنِي وَالْمَخْدَعُ مَقَامِي	وَأَقْدَامِي عَلَى عُنُقِ الرِّجَالِ

(73) الفتوحات المكية 4/180.

(74) المصدر نفسه 4/284.

(75) ينظر: التأويل وانتاج الدلالة في النص الصوفي - ابن عربي أنموذجاً ، رشيد علوان 79.

(76) المعجم الصوفي 622.

(77) ينظر: المعجم الصوفي 621.

(78) ديوان ابن عربي 78، 159، 148.

أَنَا قَطُبُ أَقْطَابِ الْوُجُودِ حَقِيقَةً عَلَى سَائِرِ الْأَقْطَابِ قَوْلِي وَحُرْمَتِي
أَنَا فِي حَضْرَةِ التَّقَرُّبِ وَحْدِي يَصْرُفُنِي وَحْسَبِي ذُو الْجَلَالِ
أَنَا الْبَازِيُّ أَشْهَبُ كُلَّ شَيْخٍ وَمَنْ ذَا فِي الرِّجَالِ أُعْطِيَ مِثَالِي

ففي هذا النمط من التكرار عبر ابن عربي عن ذاته الخاصة، تميزاً لها عن الذات الإلهية، وصفة التكرار زاد في تعميق الإيقاع الداخلي إضافة إلى انبثاق بورة فكرة دلالية⁽⁷⁹⁾ تكمن في معنى قوله تعالى: ((رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ))⁽⁸⁰⁾.

2- تكرار الجمل عند الصوفية: النمط الثاني من أنماط تكرار الكلمات يكون بتكرار جملة كاملة صدرًا أو عجزًا أو بجزء كبيرٍ منهما، وقد لجأ الصوفي إلى هذه الصفة من التكرار الخاص بالجمل بعد أن وجدها أكثر ملائمة لمجالس الانشاد والذكر، لأنه يسهل على المريدين ترديده بشكل أفضل من باقي أقسام التكرار⁽⁸¹⁾، ومما نقل من هذا النمط قول النابلسي، إذ قال⁽⁸²⁾:

استغفرُ الله من سِرِّي ومن عَلَنِي استغفرُ الله مِنْ نَفْسِي وَمِنْ بَدَنِي
استغفرُ الله من رُوحِي الَّتِي نَفَحَتْ عَنْ أَمْرِ خَالِقِهَا فِي جِسْمِي الْوَهْنِ
استغفرُ الله مِنْ عَقْلِي إِذَا اخْتَلَفَتْ بِهِ الْمَعَانِي وَمِنْ فَهْمِي وَمِنْ فُطْنِي

وتكرار الصوفي لهذا المقطع من الجمل (استغفر الله من) أكثر من تسعين مرة في قصيدته زاد من تعلق المريدين بها من جانب، ومن جانب آخر نجده أكثر انسجامًا مع ما يبتغيه من المقاصد، فينشده الصوفي في مجالس الذكر والاستغفار ويركز عليه، وضمن هذا السياق نجد أن صاحب بن عباد يكرر صدر أبيات قصيدته التي قالها في حق علي بن أبي طالب عليه السلام، إذ قال⁽⁸³⁾:

لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْوَصِيَّ هُوَ الَّذِي غَلَبَ الْخَضَارِمَ كُلَّ يَوْمٍ غِلَابِ
لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْوَصِيَّ هُوَ الَّذِي أَحَى النَّبِيَّ أُخُوَّةَ الْأَنْجَابِ

(79) ديوان عبد القادر الجيلاني دراسة اسلوبية 196.

(80) النور 37.

(81) ينظر: ديوان الششتري 103.

(82) ديوان الحقائق ومجموع الرقائق 399.

(83) ديوان صاحب بن عباد 101.

لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْوَصِيَّ هُوَ الَّذِي	سَبَقَ الْجَمِيعَ بِسُنَّةٍ وَكِتَابٍ
لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْوَصِيَّ هُوَ الَّذِي	لَمْ يَرْضَ بِالْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ
لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْوَصِيَّ هُوَ الَّذِي	آتَى الزَّكَاةَ وَكَانَ فِي الْمِحْرَابِ
لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْوَصِيَّ هُوَ الَّذِي	حَكَمَ الْغَدِيرَ لَهُ عَلَى الْأَصْحَابِ
لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْوَصِيَّ هُوَ الَّذِي	قَدْ سَامَ أَهْلَ الشَّرِكِ سَوْمَ عَدَابِ
لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْوَصِيَّ هُوَ الَّذِي	أَزْرَى بِيَذْرٍ كُلِّ أَصِيدِ أَبِي

وهذا النمط من التكرار يعطي لونًا جديدًا من التكرار النغمي الذي يزيد في تقوية الجرس⁽⁸⁴⁾، ويسهل على المريدين قراءة المستهل، فيتمكن منه أكثر ويستسيغه، وعلى هذا فقد أفادت الصوفية كثيرًا من صفة التكرار في قصائدهم وعموم كلماتهم، ثم إن الجانب الآخر وهو جانب الإفهام وتقريب المقصود بالتركيز على المطلوب بات واضحًا من خلال هذا التكرار، وفي مثل هذه القصيدة التي جاءت بتكرار الصدر كاملة لم يكلف المريدين إلا تدارك الجزء الآخر وهو العجز. واشتهرت رابعة العدوية بأبياتها الشعرية الصوفية، وأفادت من صفة التكرار في بعض قصائدها، ومما نقل عنها في ذلك أبيات قالتها في حب الله تعالى: (85)

مَنْ ذَاقَ حُبِّكَ لَا يَزَالُ مُتَّيِّمًا	مَرِحَ الْفُؤَادَ - مُتَّيِّمًا - بِالْبَالِ
مَنْ ذَاقَ حُبِّكَ لَا يَرَى مُبْتَسِمًا	مِنْ طَوْلِ جَذَبٍ فِي الْحَشَا اشْتِعَالُ

حيث تميّزت هي الأخرى بهذا اللون الأدبي، فجمال النص الصوفي عمل في تنمية أذواق العامة فضلًا عن الخاصة لإدراك كنه هذا الجمال، والتركيز على بعض المصطلحات بتكرارها كما نجد ذلك في أبيات العدوية التي أنارت الدرب للعاشقين للتعرف أكثر على محبوبهم، وذلك من خلال طرق اسماعهم بلذة اسمه وصفته، وهذا يدفع المريدين إلى استشعاره والدنو منه.

وباتت رابعة سلطنة الحب الإلهي، وقد ترجمة حلاوة الحب الإلهي في أبياتها وقصائدها حتى عُرفت بذلك⁽⁸⁶⁾، وقد نجد أحيانًا صفة التكرار في بعض الأساليب النحوية

(84) المرشد إلى فهم أشعار العرب 2 / 50.

(85) الشعر الصوفي في ظل القراءات النقدية الحديثة 141.

(86) المذاهب الصوفية ومدارسها 152-153.

كأسلوب الشرط أو أسلوب الاستفهام أو غير ذلك وعلى لسان الصوفية لتعطي دلالات ذات انسجام كبير مع رؤية الصوفية، ومن ذلك ما نقل عن الجيلاني⁽⁸⁷⁾ قوله:

غَدَوْتُ مَخْطُوبًا لِكُلِّ كَرِيمَةٍ	لَا يَهْتَدِي فِيهَا اللَّيْبُ وَيَخْطُبُ
فَلَوْ أَلْقَيْتُ سِرِّي وَسَطَ نَارٍ	لَذَابَتْ وَانْطَفَتْ مِنْ سِرِّ حَالِي
فَلَوْ أَلْقَيْتُ سِرِّي فَوْقَ مَيِّتٍ	لَقَامَ بِفُؤْرَةِ الْمَوْلَى سَعَى لِي
فَلَوْ أَلْقَيْتُ سِرِّي فِي جِبَالٍ	لَذَكَّتْ وَاخْتَقَّتْ بَيْنَ الرِّمَالِ
فَلَوْ أَلْقَيْتُ سِرِّي فِي بَحَارٍ	لَصَارَ الْكُلُّ غُورًا فِي الرِّوَالِ

والصوفي في استثماره لصفة التكرار لأسلوب الشرط في هذه الأبيات زاد في تعميق الإيقاع الداخلي للقصيدة، وأما من الناحية الدلالية فإنه بذلك يبين للمتلقي مقام حضرته، فوظف عدد من أساليب الشرط لهذا الغرض، ويشير هذا الأسلوب أيضًا إلى اهتمام الصوفي وعنايته بالمريدين، إذ إنه من أهوال الشدة يشفع له ولو أن الميزان خفت كان الشيخ لها بلطف من الله تعالى⁽⁸⁸⁾.

ويمكن أن نقول: إن صفة التكرار شاركت بنسبة معينة في بناء الخطاب الفني للشعر الصوفي، وأسهم في تنظيم الجرس الموسيقي الداخلي، ومن جانب آخر كان لها الكثير من الفضل في بيان وكشف ما يدور في ذهنية الصوفي من الدلالات والمعاني، وأن هذا النمط من التكرار أحدث بجرسه المتتابع رونقًا وديباجة أشبه ما تكون بالفواصل الموسيقية المتعددة النغمات، يزيد مستمعه الواعي استمتاعًا؛ لأنه على دراية أكثر من غيره بهذا الفن المقصود، وهو بحد ذاته دليل على قدرة المتكلم الصوفي وبلاغته.

الخاتمة

(87) ديوان عبد القادر الجيلاني 200.

(88) ينظر: ديوان عبد القادر الجيلاني دراسة اسلوبية 200.

انتهت رحلة البحث هذه في رحاب الصوفية ومذاهبها ومدارسها، وبعد هذه الجولة الماتعة بينهم للبحث عن بعض الصفات في وسطهم المغلق الذي يكاد أن يكون عاصياً على غيرهم، فمقاصدهم مختلفة ومسائلهم عاصية على العامة، وحياتهم غير حياة الناس؛ لذلك ينبغي أن أشير أنني لم أحصل إلا على ما يمكن رؤيته من الخارج بالنسبة لهم، وعلى هذا فقد انبثق بالبحث عدة مسائل أحسب أنها نتائج مهمة خرج بها البحث وعلى النحو الآتي:

1- يمثل التصوف ثمرة عظيمة من ثمار الفكر الإسلامي، وقد اجتمعت فيه حقائق الإسلام من عبادة وإيمان ويقين وعرفان، واتسمت بدايات التصوف ببعض الظواهر بين الإنسان وربه ثم انتقلت إلى ظاهرة اجتماعية لها رجالها وأتباعها.

2- التكرار صفة من الصفات التي تعرض لها الصوفي واستثمرها في بعديها الفني والدلالي، أما في المجال الفني فقد سمت هذه الصفة بالنغمة والجرس والموسيقى فاستأنس بها المريد، وأما من الجانب الدلالي فقد وظّف الصوفي صفة التكرار للتأكيد أو الافهام بشكل خاص.

3- الصفة عند الصوفية هي مغايرة لما عند غيرهم، فهي حقيقة عقلية، معدومة العين، موجودة الحكم، كلية لا تقبل التجزئة، كما وصفها بذلك ابن عربي.

4- لصفة التكرار في الحروف غاية قد تختلف عنها في الكلمات والجمل، ففي الحروف يكون التكرار بحسب الحرف وعليه يتوقف القصد دلاليًا وفنيًا، وثبت بالبحث أن القصد الدلالي مقدم على الفني، أما في صفة تكرار الكلمات والجمل فإن الجانب التنغمي يكون مقصودًا قبل غيره لما يوفره من الأثر في نفسية المريد، فيسهل عليهم التواصل مع الشيخ وفهمه.

مكتبة البحث

القرآن الكريم

- إبراز المعاني من حرز الأمان، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (ت 665هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، ط، عدد الأجزاء: 1
- أبو فراس الحمداني الموقف والتشكيل الجمالي ، القاضي النعمان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأزهر، 1981م.
- الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، إبراهيم محمد منصور ، الناشر: دار الامين للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1999.
- الأدب في التراث الصوفي، لعبد المنعم خفاجي، الناشر مكتبة غريب، د ت.
- إسفار الفصيح، محمد بن علي بن محمد، أبو سهل الهروي (ت 433هـ)، تح: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1420هـ، عدد الأجزاء: 2.
- اصطلاحات الصوفية، الشيخ كمال الدين عبد الرزاق القاشاني، تح: محمد كمال الدين إبراهيم، منشورات بیدار، قم المقدسة، د ت .
- الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا وشاعرا، فؤاد صالح السيد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1985م.
- بلغة الخواص في الاكوان إلى معدن الاخلاص في معرفة الانسان على التمام والكمال. لابن عربي محي الدين (646هـ)، تح: الشيخ أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1971م.
- البناء الصوتي في البيان القرآني، محمد حسن شرشر، الناشر: دار الطباعة المحمدية، القاهرة ، ط1، 1408-1988م.
- البيان والتبيين: عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت255هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت ، عام النشر: 1423 هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي (ت1205)، تح: مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية.

- تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية، أمين يوسف عودة، الناشر: جدار للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، د ت .
- تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)، تح: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د ت.
- التبيين عن مذاهب النحويين، العكبري (ت: 616 هـ)، تح: د عبدالرحمن سليمان العثيمين، الناشر: دار الغرب الاسلامي، ط1، 1406هـ - 1986م.
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك (ت: 672هـ)، تح: محمد كامل بركات، الناشر: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1387هـ - 1967م.
- التصوف الاسلامي في الأدب والاخلاق، زكي مبارك، دار الجبل، بيروت، لبنان، د ط، د ت.
- التصوف الاسلامي، فيصل بدير عون، الناشر: مكتبة جامعة عين شمس، القاهرة، مصر، 1983 .
- التصوف المنشأ والمصادر، احسان إلهي ظهير، ادارة ترجمان السنة، لاهور باكستان، ط1، 1986.
- التصوف ما له وما عليه، ياسين رشيد، الاسكندرية، مصر، د ت.
- التعرف لمذهب أهل التصوف، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (ت 380هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: 1
- التكرير بين المثير والتأثير، عزالدين علي السيد، الناشر: عالم الكتب، ط1، 1978م.
- تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، علي بن محمد بن سالم، الصفاقسي (ت 1118هـ)، تح: محمد الشاذلي، الناشر: مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، عدد الأجزاء: 1.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، الصبان (ت 1206هـ)، الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1، 1417هـ - 1997م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت 392هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4.

- ديوان أبا الحسن الششتري(668هـ)، تقديم: د محمد العدلوني التدريسي، والاستاذ سعيد أبو الفيوضي، المكتبة الصوفية الشاملة، القاهرة، د ت .
- ديوان ابن الخيمي مذهب الدين أبي طالب محمد بن علي(ت642هـ)، تح: ميسم عدنان الصواف، الناشر: مجمع اللغة العربية بدمشق، د ت.
- ديوان البرعي، عبد الرحيم أحمد البرعي(803هـ)، اعتنى به: عاصم ابراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1971م.
- ديوان الحقائق ومجموع الرقائق ، عبد الغني النابلسي(1143هـ)، تعليق: محمد عبد الخالق الزناتي، دار الكتب العلمية، د ت.
- ديوان صاحب بن عباد ، صاحب بن عباد، (385هـ)، تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين، الناشر: مكتبة النهضة، بيروت لبنان، ط2، 1974م.
- ديوان شمس تبريزي ، جلال الدين الرومي، ترجمة: محمد السعيد جمال الدين، الناشر: مكتبة الشروق الدولية، د ت.
- ديوان عبد القادر الجيلاني دراسة اسلوبية ، عبدالله خضر أحمد، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، أربيل، د ت.
- ديوان عفيف الدين التلمساني، يوسف زيدان، الناشر: دار الشروق، د ت.
- ديوان نجم الدين ابن سوار الدمشقي(677هـ)، تحقيق: مجيد أديب الجابر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 2009م.
- الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر، سعيد بوسقطة ، منشورات بونة للبحوث والدراسات، ط2، 1405-2008م.
- روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه (ط- قديمة) المجلسي، (ت1070هـ)، الناشر: مؤسسة كوشانبور للثقافة الإسلامية، قم، ط2، 1406هـ.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: 748هـ)، دار الحديث- القاهرة، الطبعة: 1427هـ-2006م، عدد الأجزاء: 18
- السيرة النبوية لابن هشام ، عبد الرحمن بن عبد الله أبي الحسن الخثعمي السهيلي عبد الملك بن هشام، الناشر: دار الصحابة للتراث، طنطا، د ت.

- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، نور الدين الأشموني (ت900)، الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1، 1419هـ - 1998م.
- شرح الملوكي في التصريف، ابن يعيش موفق الدين أبو البقاء (ت643هـ)، تح: فخر الدين قباوة، المكتبة العربية ، حلب، ط1، 1973م.
- شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الاسترابادي، (ت: 686هـ) تح: محمد نور الحسن ، محمد الزفزاف ، محمد محي الدين عبدالحميد ، الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان عام النشر: 1395هـ / 1975م.
- فتح المتعال على القصيدة المسماة بلامية الأفعال، حمد بن مُحَمَّد الرانقي الصعيدي المَالِكي (ت1250هـ)، تح: إبراهيم بن سليمان البعيمي، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: 1417هـ - 1418هـ.
- فتح رب البرية شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد، صفوت محمود سالم، الناشر: دار نور المكتبات، جدة - المملكة العربية السعودية، ط2، 1424هـ - 2003م، عدد الأجزاء: 1.
- الفتوحات المكية، محي الدين ابن عربي، ضبطه أحمد شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999م.
- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري (ت395هـ)، تح: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، عدد الأجزاء: 1
- فصوص الحكم ، ابن عربي، تح: أبو العلاء عفيفي، طبعة القاهرة، 1946م.
- فقه اللغة وخصائص العربية، محمد المبارك، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط7، 1981م .
- فوائح الجمال وفوائح الجلال، الشيخ نجم الدين الكبرى أحمد بن محمد الخوارزمي (ت615هـ)، تح: عاصم ابراهيم الكيالي، بيروت لبنان، د ت.
- القيمة الموسيقية للتكرار في شعر الصّاحب بن عباد، د فرحان علي القضاة، مجلة مجمع اللغة العربية الاردنية، العدد 58، السنة الرابعة والعشرون، 2000.
- كتاب الأزل، محمد وفا الكبير (ت765هـ)، ضبطه: الشيخ عاصم ابراهيم الكيالي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1971م.

- المذاهب الصوفية ومدارسها، عبد الحكيم عبد الغني قاسم، الناشر : مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1999م.
 - المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله الطيب المجذوب، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1955م.
 - المعجم الصوفي، سعاد الحكيم، الناشر: مطبعة دندرة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1981م.
 - معجم العين، خليل الفراهيدي (ت 170هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال عدد الأجزاء: 8 .
 - موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، الناشر: دار القلم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط4، 1972م.
 - هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح المصري الشافعي (ت 1409هـ)، الناشر : مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط2، عدد الأجزاء : 2 .
 - همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداي، الناشر المكتبة الوقفية- مصر.
- الرسائل الجامعية**
- التأويل وانتاج الدلالة في النص الصوفي- ابن عربي أنموذجاً، رشيد علوان، اطروحة دكتوراه، جامعة بانة، الجزائر، 2017م.
 - الشعر الصوفي في ظل القراءات النقدية الحديثة- ابن فارض أنموذجاً، بولعشار مرسللي، اطروحة دكتوراه، جامعة وهران، 2015م.